



الخطاب والتواصل

مجلة علمية محكمة



تصدر عن مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث
جامعة بلحاج بوشعيب - عين تموشنت



المجلد 2

العدد 8

نوفمبر 2021

EISSN: 2602-7690

ISSN: 2477-9911

الخطاب والتواصل

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث

جامعة بلعاج شعيب - عين تموشنت



المجلد الثاني



العدد الثامن



نوفمبر 2021

مجلة علمية أكاديمية محكمة تصدر عن مخر الخطاب والتواصل الجزائري الحديث
كلية الآداب واللغات والعلوم الإجتماعية - جامعة عين تموشنت.
مخر الخطاب والتواصل الجزائري

المجلد: 2 العدد: 8 السنة 2021

المدير الشرقي: أ-د: عبد القادر زيادي (مدير الجامعة)

مدير المجلة: أ-د: الشيخ هامل (مدير المخر)

رئيس التحرير: د: عبد الرزاق علا.

نائب رئيس التحرير: أ-د: عبد الجليل منقور. (عميد الكلية).

أعضاء هيئة التحرير:

أ-د: عبد الرحمن بغداد (الجزائر). أ-د: رحاب يوسف (مصر) أ-د: مسعود وقاد (الجزائر). أ-د: علي عبد الأمير عباس
الخميس (العراق). أ-د: شيخ هامل (الجزائر) أ-د: حليلة بلواقي (الجزائر). أ-د: فهد درهم محمد الغانمي (اليمن)
أ-د: مولاي علي بوخاتم (الجزائر). أ-د: سيدي محمد بن مالك (الجزائر) أ-د: حسام محمد عزمي العفوري (الأردن)
د: عبد الحميد ختالة (الجزائر) أ-د: سليمان عبد الواحد يوسف (مصر) أ-د: أحمد علي علي لقم (عمان)
أ-د: سليمان العميرات (قطر) أ-د: شفيري فتيحة (الجزائر) أ-د: الشريف حمدي (مصر). أ-د: عبد القادر فهم
شيباني (الجزائر) د: مليكة ناعيم (المغرب) أ-د: عبد الله محمد غلام (موريتانيا) د: سحنين علي (الجزائر) أ-د: بصالح
خديجة (الجزائر). عواطف عبد المنعم (السودان) فقيه جيهان (لبنان) د: كرباع علي (الجزائر) أ-د: حيدر غيلان
(قطر) د: قرل عبد المالك (الجزائر) أ-د: حسن الأعرج (المغرب) د: عتيق عمر (فلسطين) أ-د: عامر صلال راهي العارضي
(العراق) د: مفتاح خلوف (الجزائر) د: فاتحة تمزاتي (المغرب) أ-د: محمود محمد السيد خلف. (أمريكا). أ-د: محمد
الداه عبد القادر (موريتانيا) أ-د: قري وسيم (تونس) أ-د: طعمة عبد الرحمن (مصر) د: علي الأمير عباس فهد الخميس
(العراق) د: ناصر يوسف (ماليزيا) د: خضر محمد أبو حججوح (فلسطين) أ-د: جودي البطاينة (الأردن) د: سالمة
العمامي (ليبيا) د: القوسي همام (سوريا). أ-د: هناء محمود اسماعيل الجنابي (العراق) أ-د: السافي نور الدين (المملكة
العربية السعودية) د: حبيب بوحرور (الكويت). أ-د: نعمان بوقرة (مصر).



1. أ.د. مولاي علي بن خاتم (جامعة عين تموشنت)
2. أ.د. عبد الرحمن بغداد: المركز الجامعي مغنية.
3. أ.د. هامل الشيخ (جامعة عين تموشنت)
4. أ.د. : فتية شفيري (جامعة بومرداس)
5. أ.د. حليلة بلوافي (جامعة عين تموشنت).
6. أ.د. سيدي محمد بن مالك (المركز الجامعي مغنية).
7. أ.د. كبير الشيخ (جامعة عين تموشنت)
8. أ.د. بلي عبد القادر (جامعة وهران 1)
9. أ.د. فتية الزين (جامعة عين تموشنت)
10. أ.د. بوسغادي حبيب (جامعة عين تموشنت)
11. د. علي سحنين (جامعة معسكر)
12. د. معمر الدين عبد القادر (جامعة عين تموشنت)
13. د. هواوي نهيان (جامعة الوادي).
14. د. يوسف رمضان (جامعة معسكر).
15. د. عبد الحميد ختالة (جامعة خنشلة)
16. د. صالحي قسيس (جامعة برج بوعريش)



- لإعداد ورقة المقال يعين استخدام Microsoft Word يضم المحتوى كاملا للورقة في ملف واحد، ويخضع تصميم الورقة للشروط التقنية الخاصة بالتواصل

1. حجم A4 الهوامش (أعلى وأسفل وفي الجوانب) بمقدار 2 سم
2. مسافة تباعد بين الأسطر موحدة مقدرة ب: 1,15.
3. مقدمة: العنوان المحوري: نمط الخط (خط غليظ (Sakkal Majalla) ، حجم الخط: 14
4. المتن: العناوين الرئيسية: نمط الخط (Sakkal Majalla) ، حجم الخط: 14
5. المتن: خط العناوين الفرعية: تكون بالبنت العريض (Gras) بخط Sakkal Majalla مقاسه 14 مع تنظيم ترقيمها باستخدام (أولا، ثانيا، ثالثا ...) و (1-2-3 ...) و (أ-ب.ج ...) بالنسبة لتدرج الترقيم في العناوين الفرعية. نمط الخط (14) Sakkal Majalla ،
6. الإحالات والهوامش باللغة العربية: نمط الخط (خط (Sakkal Majalla) ، حجم الخط: 12
- الإحالات والهوامش باللغة الأجنبية 11 : Police: Times New Roman, Taille:
7. يجب وضع الهوامش في آخر البحث (وبطريقة آلية) .
8. لا بد من إدراج قائمة للمصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، مرتبة ومرفقة في آخر المقال.
9. يجب أن لا يتجاوز عدد صفحات المقال (20)، ولا يقل عن (10) في نموذج ورقة المجلة، وكل محتوى المقال من نصوص وأشكال وجداول تكون في مساحة المقاس المحدد، وتكون هوامش الصفحة وفق بُعد (سم2) من كل جهة.
- * ملاحظات هامة:

1. هذه التعليمات تؤهل قبول المقال للتحكيم.
2. لا يجب إحداث أي تغيير على شكل نموذج ورقة المجلة (حجم الورقة - رأس الصفحة - ذيل الصفحة
3. عند إدراج معلومات المقال على البوابة يجب أن يراعى ما يأتي :
4. إدراج في الصفحة الأولى كل المعلومات المتعلقة: عنوان المقال، واسم ولقب الباحث أو الباحثين، والرتبة العلمية، والمؤسسة الجامعية، والبريد الإلكتروني.
5. لا بد من تطابق عدد المؤلفين في حال المقال الثنائي أو المتعدد بين المقال ومعلوماته على البوابة .
6. عند قبول المقال للنشر يتعين على صاحب المقال إدراج جميع مراجع بحثه على البوابة كشرط لقبول نشر المقال .
7. ترسل جميع المقالات إلى رئيس تحرير مجلة الخطاب والتواصل عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية على الرابط التالي: <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/205>



سعداء جداً أن يصدر هذا العدد في هذا الشهر العظيم، شهر نوفمبر المجيد.

كما نعتذر لقرائنا الكرام على هذا التأخير الذي حصل في تاريخ الصدور، فكان من المفروض أن تُصدر مجلة الخطاب والتواصل عددها في أواخر شهر جوان كعادتها دائماً، ولكن في هذه السنة واجهتنا صعوبة قلّة المقالات المرسلّة إلى المجلات العلمية غير المصنفة، ولكنه بتوفيق من الله استطعنا أن نصل إلى عدد مَكَنَ لنا من إخراجها في هذا الشهر.

إن "مجلة الخطاب والتواصل" التي تعدّ لسان حال مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث - بجامعة بلجاجة بوشعيب عين تموشنت تسهر دائماً على تقديم البحوث الرصينة والدراسات الجادة التي تخدم مسار البحث العلمي وتواكب التطورات الحاصلة في حقل الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية؛ وعليه فقد تنوعت مقالات هذا العدد بين الدراسات اللسانية، والأدبية، والنقدية وكانت جادة في طرحها ومتوازنة في تصوراتها، واضحة في معالمها. وهي في مجملها بحوث ودراسات سوف تسهم بإذن الله في إثراء السّاحة النقدية داخل الوطن وخارجه بمجموعة من الأفكار والأطروحات النقدية الجديدة.

كما نهيب بهيئة تحرير المجلة وبكل من ساهم في إنجاز وإخراج هذا العدد إلى كافة هيئة التحرير من رئيسها إلى المحررين المساعدين وكذا المراجعين الذين تجاوبوا مع كل المقالات المرسلّة إليهم وقد سهروا على تحكيمها ومراجعتها بدقة وبكلّ موضوعية وفي وقتها المحدّد. وعليه تكمن غايتنا بالرقي بمجلة "الخطاب والتواصل" إلى الصنف "ج"-C- لتتبوأ مكانة ضمن المجلات العلمية الجزائرية المصنفة وأملنا كبير في ذلك خدمة للعلم والمعرفة..

وفي النهاية نرجو أن تكون مقالات هذا العدد قد حملت في طياتها تصورات فكرية جديدة تدفع من خلالها عجلة البحث في ميدان اللغة والأدب والنقد إلى آفاق بحثية ومستقبلية جديدة.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل الأستاذة الباحثين وطلبة الدكتوراه الذين قدّموا بحوثهم للنشر في ضمن هذا العدد.

والله من وراء القصد شهيد

رئيس التحرير

د. عبد الرزاق علا

فهرس المحتويات



4	 كلمة افتتاحية العدد
5	 الفهرس

الصفحة	الموضوع
6	اللّسانيات والمنطق: بين التّماهي والمفارقة (من خلال الخطاب اللّساني لعبد الرحمن الحاج صالح) - المنظور الاستمولوجي الاستعرافي - أ. د. يوسف مقران
20	الخطاب الشعري بين الرؤيا والرؤية د. محمد عروس
35	العجائبي في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق" د- أحلام الواج / د- بلقاسم زوقار
46	الشخصية الروائية بين تنوع الوظائف وتعدد الدلالات - قراءة في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري د. نهيان هواوي
56	النقد المعرفي والمبدأ العلائقي رانية قدرى
69	مقومات هوية النصّ الأدبي الجزائريّ عند "أبو القاسم سعد الله" د. عبد الحميد بوترحه
80	في سيمياء القصيدة النوفمبرية - قصيدة فلا عزّ حتى تستقل الجزائر للشاعر مفدي زكريا - نموذج د. نوال بومعزة
91	قراءة تقديمية لمضامين فصل: المقاربة التاريخية للخطاب "مارتن رايزنجل وروث فوداك." - من كتاب "مناهج التحليل النقدي للخطاب. صص: 181-279 صوضان محمد

الخطاب الشعري بين الرؤيا والرؤية

Poetic discourse between imagination and vision

الدكتور: محمد عروس

جامعة العربي التبسي- تبسة

arousmohammed@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2021 / 11 / 15	2020 / 12 / 19	2020 / 08 / 06

مُلَخَّصُ البَحْثِ

تهدف هذه الدراسة الكشف عن ثنائية الرؤيا والرؤية التي يحملها النص الشعري، بما يحضرفيه من رؤية ثقافية، أو اجتماعية، أو سياسية، ويجعله حاملا لرسالة، ومعبرا عن توجه، وينقله من العبثية إلى دائرة الانتماء والمقصدية، وبما يتشكل فيه من صور تكون مُؤَلِّدَة للشعرية وصانعة للتخييل.

تتخذ هذه الدراسة من النص الشعري الجزائري متداخل الأجناس الأدبية بما يحضرفيه من حوار، وسرد، وفضاء، وشخصيات مادة للدراسة، وتهدف إلى التعريف بتجربة الشعر الجزائري المعاصر، بما يحضرفيه من رؤيا ورؤية.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الشعرية، الرؤيا ، الشعر الجزائري المعاصر، تداخل الأجناس الأدبية، المقصدية.

Abstract

This study aims to reveal the dualism of the imagination and the vision that the poetic text holds, with the cultural, social, or political vision it attends in it, and makes it the bearer of a message, expressing an orientation, and transmits it from absurdity to the circle of belonging and purpose, and what is formed in it that are images that generate poetic Imagination maker.

This study takes from the Algerian poetic text intertwining literary races with the dialogue, narration, space, and characters attending in it, and aims to introduce the contemporary Algerian poetry experience, including the imagination and vision in it.

Key words: poetic vision, imagination, Contemporary Algerian poetry, intertwining literary genres, destination.

مقدمة:

يتنازع الشعر ثنائيةً جوهرية تُشكّل لُحْمته وِسَدَاهُ، وتصنع عوالمه النصية، وتتمثل في الرؤيا والرؤية. إذ الشعر فعل تخيلي بالأساس، يسعى من خلاله الشاعر إلى رسم العوالم النصية بما يتيح خياله من إمكانات التصوير، وما تسمح به لغته من إمكانات التعبير. غير أن الشاعر لا يسعى بتعبيره وتصويره إلى غير غاية، وإنما يعبر عن مواقف، ويصور حالات النفس وتحولاتها وهي تتفاعل مع قضايا الوجود. ولذلك نتساءل: كيف تتعاقب ثنائية الرؤيا والرؤية في تشكيل عوالم النص الشعري؟ وكيف تجسد فعل التخيل والمقصدية في صناعة التجربة الشعرية الجزائرية المعاصرة؟ ولما نقشة الفرضية التي يتأسس عليها البحث والمتمثلة في التلازم والتفاعل بين ثنائية الرؤيا والرؤية في تحقيق شعرية الخطاب الشعري سنتخذ من المنهج الوصفي في بعده التحليلي والتركيب أداة للدراسة متمثلين معطيات المنهج السيميائي في الكشف والقراءة. وذلك بغرض الكشف عن القيمة التواصلية للخطاب الشعري، وبيان أفقه الإبداعي وفاعليته الجمالية والمعرفية.

أولاً: تشكيل عوالم النص الشعري

الشعر بنية لغوية دالة، هذا قدره الأزلي، ومثلما يسمو بلغته عن مألوف الكلام ومعتاده، يصنع لوجوده استقلالاً إيقاعياً يشق به طريقه نحو المتلقي فإنه يتخذ من المعاني ما يحقق التفاعل الإيجابي بين ذات الشاعر ومحيطه الثقافي والاجتماعي، والسياسي، إذ «تظل القيمة المشتركة بين أكثر من فاعل واحد هدفاً مشتركاً يسعى الناس إلى الاقتراب منه، ويعتبرونه مثلاً أعلى، وكلما دنا منه الدانون وجدوه يبتعد بدون أن يغرب ويغيب»¹. وعليه، فمن الأسئلة التي صاحبت وجود الشعر على مر الزمان سؤال كيف، كيف يتشكل المعنى في النص الشعري؟ وهي البؤرة المركزية التي سنحاول التحرك في محيطها في هذا البحث، إذ الشاعر يُودعُ نصه أسرار نفسه، وخبايا ضميره، ورؤيته للحياة وللواقع. ونتيجة ذلك يعتمد إلى تشكيل نصه بلغة متعالية، وإيقاع مناسب، يصنع لحمة بينه وبين المتلقي، مما يعطي النص قيمة، وهذه «القيمة تحمل على الاندفاع، فهي تسمو بنا، وتحملنا، وتبتعد بنا عن اللامبالاة، التي تظهر عند الإنسان الذي لا يحس بها ولا يجربها»². وفي كل ذلك تتخذ ثنائية الرؤيا والرؤية موقعاً متميزاً، يعطي الشعر ألقه، ويحدد كينونته، ويحوّله من مجرد تعبير وتصوير إلى أفق تفكير وفعل وممارسة.

1- بين الرؤيا والرؤية

بداية يجب التفريق بين مصطلحي الرؤيا والرؤية، إذ الرؤيا حُلْم يراود الشاعر ويسعى لمجاراته، وتحويل القصيدة عن مسارها الواقعي إلى مسار تخيلي، تكون دائماً المفارقة حاصلة بين عالم الشاعر وعالم الواقع بالاشتغال على فضاء الرؤيا. إن ما يميز الأدب عموماً والشعر خصوصاً في نطاق الرؤيا أنها تصنع «عالمًا خيالياً من ورق، يتحلّى بقدر عال من حرية الحلم وسعته ورمزيته»³، وذلك ما ينقل الإبداع الشعري من التعبير المباشر عن الأشياء الواقعية والحالات المعاشة، والمواقف المولدة للشعر، إلى التعبير المغرق في الخيال، فتتولد المتعة الفنية بما يوظف من لغة شفافة، ورموز موحية، وأساطير دالة، بشكل يقود إلى الجمال الفني والغموض الدلالي.

أمّا الرؤية فهي وجهة النظر التي يقيمها الشاعر بين ذاته المبدعة والقضايا التي يطرحها في نصه الشعري. إذ الشعر قبل كل شيء يعبر عن وجهة نظر الشاعر لقضايا الوجود، والإنسان، والحياة. وهو ما جعل القصيدة الشعرية متداخلة الأجناس الأدبية⁴ باعتبارها موضوع دراستنا تصدر عن رؤية وتحمل توجّهاً، لأن كل قصيدة تعالج موقفاً حياتياً أو شعورياً لا بد أن تختار رؤية تعالج من خلالها الموقف، أو تجعل سبيل المعالجة السؤال وإثارة الجدل، وتنوّع الرؤى بما يحضر فيها من تعدد أصوات، وحوارية، وما يغوص في أعماقها من دلالات.

لكن، ما علاقة الرؤيا بالرؤية؟ وبماذا يتعلق مصطلح الرؤيوي الذي نحن بصدد البحث عن أبعاده ودلالاته في الشعر الجزائري المعاصر متداخل الأجناس الأدبية؟

إن الرؤيا هي التجسيد الإبداعي لرؤية الشاعر في النص الشعري المعاصر، ذلك أن الرؤيا «مصطلح يشير إضافة إلى دلالاته الخُلمية إلى المنظور الفكري والفلسفي ووجهة النظر»⁵، وكل رؤيا وإن أغرقت في الخيال والحلمية، فإنها تحمل لا محالة رؤية يسعى الشاعر إلى بيانها. وهو ما يجعل الدرس النقدي يصف الرؤيا بأنها «الجوهر الثقافي والفكري والجمالي للعملية الإبداعية»⁶، وبالتالي تكون القصيدة المعاصرة متداخلة الأجناس الأدبية قصيدة رؤيا ورؤية، وبالتالي تكون الفضاء الغني بالأبعاد الرؤيوية.

2- الشعر الجزائري المعاصر وتداخل الأجناس الأدبية

استفادت تجربة الشعر الجزائري المعاصر من التراكمات النصية، ومن المتغيرات البنائية التي حدثت في النص الشعري على مستويي الإبداع والنقد، فساهم الشعراء «كل حسب ثقافته ورؤيته الفنية في تطوير النص الشعري العربي في الجزائر، وفي تطويره لاستيعاب المتغيرات والطوارئ التي حدثت على المستوى الاجتماعي أو الفكري أو السياسي أو الفني»⁷، استجابة لآفاق الإبداع. إذ النص الشعري متداخل الأجناس نص إشكالي، لأنه متعدد الأبعاد يصدر عن رؤية ويعانق رؤيا. إن التوسع الذي شهدته تجربة الشعر الجزائري المعاصر بارتياحه فضاءات نصية لأجناس أدبية متجاوزة، وما نتج عنها من نصوص تتميز بتداخل الأجناس الأدبية كان نتيجة لتطور رؤية الشاعر وانفتاح النص الشعري على آفاق جديدة للإبداع. يجد الدارس لتجربة الشعر الجزائري المعاصر أن الأبعاد الرؤيوية يتداخل فيها ما هو ثقافي بما هو سياسي بما هو اجتماعي، غير أن البوتقة التي تتفاعل فيها هذه العناصر هي البعد الثقافي.

لكل شاعر ثقافة مرجعية تؤطر فلسفته الإبداعية، وتتسلل إلى نصه الإبداعي، حاملة تلك الرؤى والتصورات، وعندما يحضر النص الإبداعي عند الناقد، أو القارئ فإنه يعمل على جعل العناصر الثقافية مرتكزات لإنتاج الدلالة وتوجيه التأويل.

ثانيا: النص الشعري الجزائري بين الرؤيا والرؤية

تعدد مدارات الاشتغال النصي في تجربة الشعر الجزائري المعاصر، غير أن ما يميز النص الشعري متداخل الأجناس الأدبية يتمثل أساسا في الجدلية القائمة بين ثنائية الرؤية بشتى تشكيلاتها الفكرية والمعرفية مع الرؤيا بشتى تجسيدات التخيلية.

1- الرؤية الثقافية وتشكيل الرؤيا الشعرية

تتمثل الرؤية الثقافية في «أن القضايا والهموم التي ينشغل بها الشاعر ويعانها ذات طبيعة روحية أو فكرية، يعني أن رؤيته الشعرية وموضوع تأمله الشعري من نبع فكري أو روحي»⁸، وتتجلى تلك الرؤية في شكل وقفات تأملية أو معالجة موضوعات متصلة بالهوية الثقافية للأمة أو تجليات صوفية.

إن توجيه اهتمام الشاعر إلى النواحي الثقافية بظهورها في نصه الشعري لا يمثل انحرافا للشعر عن مساره كاشتغال خالص على التعبير، وإنما هو تأكيد للحمة الحاصلة بين التعبير اللفظي والمحتوى المضموني. هذا الأخير الذي لا ينفصل عن الذات المبدعة عند الشاعر، برؤاها وتصوراتها الفكرية، وانفعالاتها وعواطفها الروحية. وماذا سيكون الشعر إن غابت عنه الرؤية الثقافية؟

تمثل الرؤية الثقافية إطارا عاما ورحبا، تتداخل فيه الرؤية السياسية والاجتماعية، لأن الثقافة هي الموجه الأساس للإبداع، مهما كانت طبيعة هذه الثقافة ومرجعياتها.

تتجلى في ظل الرؤية الثقافية قضية المقصدية، وتغدو القصيدة معبرة عن التوجه الفكري للشاعر، فمهما يحاول التخلص من قناعاته، وكتابة نص محايد، فإنه لا يجد إلى ذلك سبيلا. ويمكنك ببساطة أن تفرق بين نصين لكاتبين من توجيهين فكريين مختلفين، وإن عالجا نفس الموضوع، بالاعتماد على الألفاظ المستخدمة، والأحداث المستحضرة، والرؤية المؤطرة، ومنه تكمن أهمية الرؤية الثقافية كأحد أهم الأبعاد الرؤيوية في الشعر الجزائري المعاصر.

إن مدونة الشعر الجزائري المعاصر المتميزة بتداخل الأجناس الأدبية كان هاجسها ثقافيا بامتياز، إذ نجد الشعراء أنفسهم يلحون على المقصدية، وينفون العبثية. يقول عبد "الحليم مخالفة":

«أنا لست أعبت

بالرؤى والوزن والصور..

لكنني عند الكتابة

أرتدي قدري.

أنى أغير يا ترى قدري..؟

أنى أغير يا ترى قدري..؟!»⁹

بالعودة إلى قصيدة "يا سيد الشهداء.. نجد البعد الروحي كأحد أهم الأبعاد الثقافية حاضرا، إذ سيد الشهداء حمزة أو رجل قام إلى حاكم ظالم فأمره أو نهاه فقتله كما في معنى الأثر. ولكننا نجد تحويلا لسيد الشهداء المقصود عند الشاعر، إذ تحكي القصيدة فاجعة اغتيال الشهيد الرمز "أحمد ياسين".

يفتح الشاعر القصيدة بالإخبار الذي هو من صميم الحكيم، وما تبع ذلك من حدث وشخصيات وزمان، وذلك ما ينقل النص من نقاء الجنس الأدبي إلى تداخل الجنس الأدبية. ويتداخل فيها ما هو ثقافي بما هو سياسي. ويتجسد فيها طابع الانتماء. يقول الشاعر:

«هو لم يمت / إني أشك بما يروج بيننا / عن موته / هو لم يمت / إني أراه / أرى الحوارين حوله / منصتين

لصوته.. / هو لم يمت / لازلت أومن أنه / لم ينته»¹⁰

تقدم القصيدة بمقاطعها المتعددة، رؤية للصراع العربي الإسرائيلي، معلية لقيمة الشهيد، ومبدأ الشهادة، وملقية باللائمة على من ظنوا الأوطان تحرر بدعاة السلم، فتكون القصيدة غنية بالبناء الدرامي، والتصوير المشهدي في كامل مقاطعها المتعددة والمتنوعة. ويختتم هذه القصيدة التي تتأسس على حكاية حدث، بمناجاته سيد الشهداء، بعد أن تبددت أوهام السلام، وتبخرت كل الرؤى والأحلام، يقول في ذلك:

«يا سيد الشهداء قد آن الأوان

لكي نقول لسامري القوم: لا

ولعجله المأفون" لا

ولكل من قال بالتطبيع: لا

ولكل من قد سار للتوقيع: لا

آن الأوان

لكي يعيد السامري حليتنا

هو لم يكن وإن ادعى

يوما

على أرض الشهادة

والجهاد نبينا

عام "الرمادة" لا يؤمر فيه

أصحاب البطون المترفون

آن الأوان تُفك قيودنا

وقيود من ضمته

ظلماء أقبية السجون

يا سيد الشهداء ضيعنا هويتنا

ويكفي حزام ناسف

كي يعرف الكون المظلل

من نكون»¹¹

هي الرؤية الثورية في الثقافة الجزائرية، كأصل لتحرير الأوطان، حاضرة كبعد ثقافي في هذه القصيدة.

وظف الشاعر في قصيدة " يا سيد الشهداء.." قاموسا شعريا ينتمي إلى ما يمثل بعدا مرجعيا، حدد رؤية الشاعر

للحدث الذي آذن بميلاد القصيدة. وأهم الكلمات المفاتيح التي تمثل الحقول الدلالية في القصيدة هي: سيد الشهداء، الجهاد،

اليهود، القدس، السلام. والجدول الآتي يبين ذلك:

الكلمة المفتاحية	سيد الشهداء	الجهاد	اليهود	القدس	السلام
الكلمات والعبارات التي تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي	- هولم يمت. - الحواريين. - ياسين. - يا شيخها وإمامها. - الجسد المطهر. - ضريحك. - الضمائر التي تعبر بالإحالة: أنه، لم ينته، قصفوه، قتلوه، دفنوه.	- سورة الأنفال. متخضبا بدمائه. - السيف اليماني الثقيل. - الجهاد. - شهيدنا. - راية خفاقة. - وهج العقيدة. - مهج الكرام. - الحمام. - الشهادة. - حزام ناسف.	- اليهود. - المتزلفين إلى اليهود. - حيارى الأرض.	- قدسنا. - يا موج غزة. - أرض الخلل. - السرو. - الزيتون. - الحصار. - المحاصر. - الخيام. - لاجئ	- زمن الخيانة. - سلم الواهمين. - سلم الحالمين. - سلم المرجفين. - السلام. - أسراب الحمام. - أضغاث أهام. - السلام. - المتفاوضون. - التطبيع. - التوقيع.

إن كل كلمة مفتاحية وما يندرج ضمنها من حقل دلالي، تؤطر جميعا رؤية الشاعر الثقافية للقضية التي تمثل محور

تجربته الشعرية وهي القضية الفلسطينية، وهي رؤية إسلامية، القدس فيها ملك للمسلمين، والوجود اليهودي كيان غاصب

محتل لا بد يوما أن يزول كما تقول تفاصيل القصيدة.

2- الرؤية التأملية وتشكيل الرؤيا الشعرية

قد تتعلق الأبعاد الثقافية بقضايا الصراع كما في القصيدة السابقة، وقد تتعلق بالتأمل في أصل الكون أو الإنسان،

ومبدأ العدل، وقيمة الحق، أو التساؤل حول ظواهر تنتاب النفس الإنسانية؛ من حزن وفرح، وألم وأمل وغير ذلك، وهذه

الأبعاد الثقافية هي التي يحددها المحيط الثقافي للشاعر، وهو «الإطار الذي تتدخل في تحديده ظروف البيئة الاجتماعية،

وظروف العصر بوجه عام»¹². وقد يقيم الشاعر إجابات صريحة على أسئلته، وقد يتركها تساؤلات مفتوحة، تحتل العديد

من الإجابات، والكثير من التأويلات، وتلك التساؤلات يبيها الشاعر في نصه، بواسطة الشخصيات التي يحركها، والأحداث التي

يُفَعِّلُهَا والفضاءات التي يوظفها، فتكون الحوارية، والتناص، وتعدد الأصوات مؤشرات نصية للدلالة على الأبعاد الثقافية للقصيدة.

من النماذج الشعرية للقصيدة متداخلة الأجناس ذات الطبيعة التأملية نجد قصيدة " عن فتى هدمته طلقته الأخيرة" حيث يقود التأمل الفتى كشخصية محورية في القصيدة. إلى أن يتمنى أن يكون حبيباً إلى أي قلب، ولن يتحقق ذلك حسب تأملات الفتى إلا إذا زالت الأحقاد من النفوس، وحلت المحبة بدلها. وعند تحقق المحبة يكون للوردة مكان وللسلام وجود. يتمنى الفتى ذلك بعد أن أعياه السهر ونام كل من حوله، ولم تبق إلا النجوم التي يتمنى مسامرتها ومبادلتها الكلام ورَدَّ الجواب. ويستتر الشاعر على لسان الفتى في وحدته التأملية التي أخبر عنها بقوله: " يقول الفتى"، في لازمة تكرارية تتخلل كل تمفصلات القصيدة، وفي كل مرة يظهر لنا ملمح للتأمل. فيعود بالذاكرة إلى الطفولة حيث الأحلام والبراءة، والثوب المدرسي والحلم السندسي والفرح والبسمة، في تأمل لعوالم الطفولة البريئة، ولكن تأمله يقوده إلى أن يتمنى نفسه أميراً للبراري، لتكون حريته لا حدود لها ولا قيود، والأمانى كثيرة وأبعادها عديدة عبر عنها الشاعر بنقاط الحذف.

«ليت أني.. يقول الفتى..»

ثم يسبل عينيه علَّ الرؤى

في الجفون تنام..»¹³

تأخذ الرؤى حيزاً معتبراً من النص، فهي هو الحزن، غريم النفس الأبدي الذي يسلمها حظها من الفرح والسرور، يكون موضوعاً للتأمل والتساؤل:

«أي بحر هو الحزن

يسكن أرواحنا

ويجردها من مباحجها الفاتنة..»¹⁴

لقد هدَّ الحزن كاهل الفتى، حتى صار صاحب الوجه، ولذلك حوَّله الشاعر إلى شخصية يحاورها ويعلن الغضب في وجهها. لكن الحزن يأبى أن يبوح بأسراره مما يزيد من متاعب الشاعر، وإرهاق فكره بالتأمل ونفسه بالمعاناة.

عندما أعيا الفتى بحر الحزن، تركه واتجه إلى الرمل والذاكرة وأغاني المحبين ليقسم معهم حزنه، ويمنحهم ما يشاءون فقط عساه القلب يظفر بالسعادة والعقل يصل إلى اليقين. ولذلك يقود الفتى تأمله إلى التصريح بهدفه من الحياة كبعد ثقافي يوطر رؤيته ويجب أن يقود خطاه، ويجب أن تفهم في نطاقه كل تصرفاته ومواقفه، ورؤاه، وتصورات، ويعبر عن ذلك بقوله:

«يقول الفتى

ليس لي أمل غير مرضاة ربي»¹⁵.

وهذا الموقف جعل الكائنات، المؤنسة التي أنطقها الشاعر، تبحث بدورها عن السر القابع، خلف مواقف الفتى من كل ما يقع في محيطه الثقافي، إضافة إلى ما يعانيه الفتى من شحوب جسدي وغموض فكري، وما يواجهه روحه من ضياع وجودي في نظر الكائنات المؤنسة.

«لقد كان يبحث عن كل شيء

ولم يلتق أي شيء

سوى أنه

كلما حاولت روحه أن تلامس حلماً

يضيع..»¹⁶

وبعد أن يعيد السارد الصوت الشعري إلى الشخصيات الطبيعية، ليكون التركيز على فعل المؤامرة والإغراء كسبيل لصبِّ الفتى عن رؤاه وتصورات ومواقفه، التي لم يفلح معها الإقناع العقلي، يُرجع الصوت الشعري من جديد للكائنات المؤنسة (وردة الرمل) لتخبر بحقيقة التفكير والتأمل الذي قاد الفتى للاشتباك بالجنون.

«لعل الفتاتين ما درتا

أن قلب الفتى.. منذ كم سنة..

بالجنون.. بأقصى الجنون.. اشتبك !!»¹⁷

يعود الشاعر لإنطاق الفتى من جديد، فاتحا آفاق التمني، ولا تمني إلا بإعمال التفكير، وفتح الرؤية على السجل الثقافي الذي يمثل مستندا معرفيا للرؤى والتصورات. فيتمنى أنه شهيد، لتنال روحه السعادة والخلود.

لكن "ليت" التي فتح بها الشاعر رؤيته الثقافية كانت سبيلا إلى أن يدرك الفتى أخطاءه في التوجهات الثقافية التي أقامها مع محيطه، والتي بناها على القيم الإنسانية التي يؤمن بها، والتي قادتته إلى الاستعلاء على هذا الواقع لما فيه من انتهاك صارخ لتلك القيم، فهاهو يُوصَفُ على لسان بعض شخصيات النص:

«يمر على منزل الجنرال

وفي عمقه جنرال القيم»¹⁸.

يحاول الشاعر على لسان الفتى إحراج ذاكرته بالأسئلة ذات البعد الثقافي، يقول معبرا عن بعض تلك الهموم:

«خطئي أنني لم أسلم دمي للغرور

خطئي أن ذاكرتي لا تكف

وأسنلتي لا تجف

وجديتي غلبتني.. ولم تعطني فرصة للحبور..

يقول الفتى

خطئي أنني أبدي الشعور»¹⁹

ويعلن بعد ذلك السارد على لسان بعض الشخصيات المؤنسة (النخلة) أن:

«الفتى بالغ في الحقيقة

محتشد بالأسى والألم»²⁰.

ومبالغة الفتى في الحقيقة تقوده على أن يعمل على فك بعض أسرار الوجود، وهو العمق الثقافي للنص، ومن خلاله تتضح رؤية الشاعر لقضايا الإنسان والكون والحياة. فالفتى سيولد من جديد، بعد كل انكسار، فكلما غاب أو غُيِّب عن الحياة عاد إليها بروح جديدة ورؤية متجددة.

«غدا سيعود. كما كان طفلا صغيرا.

يرى الله في قلبه

والوجود الذي دونه عدم في عدم

غدا سيعود.. وقد تعب البحريه

غدا سيعود.. وقد ملّ من مركبه

يعود إلى رمله المترامي بواحاته الخالدة.

يعود الفتى

ليعيد بناء الحياة التي هدمتها الأكف

بطعناتها الحاقدة»²¹.

إن المحيط الثقافي الذي يسعى الشاعر إلى بنائه على لسان الفتى، هو معالم حياة جديدة تنزع من القلوب السقيمة كل سخيمة، تعكس صفو الحياة، فيتأخى الجميع في وطن تكاثرت خيراتهم وتنوعت مدخراتهم، وفتن الألباب بحسنه وجماله. لكن، أئني له أن يجد ذلك القلب الكبير، إن وجد الوطن الواسع. ولذلك يبقى الفتى متخيلا نفسه وحيدا في رؤاه ومواقفه وتصورات، في مفارقة تصويرية بين واقع موجود وواقع مأمول.

إن العمق الذي حملته قصيدة " عن فتى هدمته طلقته الأخيرة" صراع ثقافي بين من يؤمن بقيم الحياة، وحب الأوطان، ويعمل وسعه لتحقيق ذلك، وبين من لا هدف له إلا التمتع بالملذات والثروات، وإثارة الفتن والأحقاد والمؤامرات.

تتمثل خرائط التفكير التأملية في هذه القصيدة في ثلاثة محاور رئيسة:

- النفس الإنسانية وما يعتلج فيها من حزن وألم، وفرح وسرور، وطموح واستعلاء.
- القيم الدينية كمرجعية ثقافية توظف رؤية الشاعر للكون والإنسان والحياة.
- الحياة وما يعتمل فيها من تناقضات.

وقد تولّد عن خرائط التفكير التأملية هذه صراع ثقافي في القصيدة، يجب أن يصدر عنه كل تأويل وقراءة لها.

3- الرؤيا الصوفية وتشكيل الرؤيا الشعرية

إذا كانت الوقفات التأملية التي تحدد الرؤية الثقافية أساسها فكري، فإن التجليات الصوفية أساسها روحي. لكن يجب الإشارة إلى أن التجربة الصوفية منها ما يمثل تجربة صوفية أدبية بعيدة عن تجارب الروح، ومنها ما يمثل تجارب تندمج فيها التجربة الشعرية مع الإشراق الروحية، فيكون التصوف سبيل الشاعر في رسم أفقه الثقافي، غير أن «سند التجربة يبقى فيصلا بين الأصيل في هذا النص والدخيل عليه»²².

يمكن الكشف عن المحمولات الثقافية للتجربة الصوفية في النص الشعري متداخل الأجناس. وغيره من النصوص. من خلال الملفوظات الدالة على التصوف وأبعاده والتي يستقيها الشاعر من ألفاظ المتصوفة وعباراتهم وتلميحاتهم ومواقفهم وإشاراتهم.

من النماذج التي يستحضر فيها الشاعر الجزائري بعض الرموز الصوفية لتكثيف التصوير في لوحاته المشهدية، ويتخذ من عبارات الصوفية وحالاتهم عناصر دالة في نصه الشعري، هذه المناجاة التي أقامها " يوسف وغليسي" مع تيمة الوطن، محولا فكرة "الحلول" بين الذات الإلهية والذات العارفة عند الحلاج²³، إلى حلول بين ذات الشاعر ووطنه. وما جعل الشعراء المعاصرين يعيدون إنتاج شخصية الحلاج في أشعارهم، مع تحويل ما تعلق بالذات الإلهية إلى الواقع البشري، هو ما تميز به «سلوكي الحلاج ومنهجه الفكري، وروحه الثورية، ومناذاته بالإصلاح على الصعيدين السياسي والاجتماعي»²⁴. يقول "يوسف وغليسي" في مقطوعة بعنوان " حلول ":

«أنا أنت..أنت أنا !

أهواك لأنني منك..

وأنتك مني

روحك حلّت في بدني..

أنا " حلاج" الزمن..

لكن..

ما في الجبة

إلاّك يا وطني !»²⁵

والحلول مقام في التصوف الحلجي يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، عبر عنه الحلاج بقوله المشهور " ما في الجبة إلا الله ". غير أن الشاعر حوّل هذا المعنى الصوفي الذي أثير حوله الكثير من الجدل، وأفضى إلى النهاية المعروفة للحلاج، إلى معنى جديد يحدث بموجبه التماهي بين "أنا الشاعر" و "أنا الوطن"، لأن كلا منهما في عرف الشاعر من الآخر، ولا غرابة أن يحدث الحلول بينهما. وعليه فلكل زمان حلاجه، وحلاج هذا الزمن هو الشاعر، مع مفارقة تعبيرية وتصورية، ورؤيوية، أن ما في الجبة إلا الوطن.

تكاد تكون الألفاظ الدالة في القصيدة كلها من القاموس الصوفي: حلول، أنا، أنت، أهوى، منك، مني، روح، حلت، بدن، حلاج، الجبة. لتكون لفظة " الوطن " لفظة محورية خارجة عن الخطاب الصوفي، ومحولة لهذا الخطاب إلى سياق ثقافي جديد، يعبر عن رؤية ثقافية أراد الشاعر تسويقها للمتلقي، ليعبر عن مدى إيمانه بوطنه وذوبانه فيه.

تنطلق المقطوعة من تحويل مباشر لبیت مشهور يصف قمة التآخي بين العُباد، وكيف يجب أن يكون كل أخ لأخيه:

أنا أنت، وأنت أنا روحان حلا بدنا

غير أن الشاعر يُضَمِّنُ من هذا البيت شطره الأول، ويوسع شطر البيت الثاني، ويحول مجراه. فلا تصبح العلاقة بين ذوات آدمية، وإنما تتحول إلى علاقة بين ذات آدمية وأخرى مادية، الأولى أنا الشاعر منشئ الخطاب، والأخرى أنا الوطن، وطن الشاعر لا غير، وذلك من خلال التحديد الملفوظي " إلّاك يا وطني " ويكون الحلول حاصلًا بين الذاتين، بالنهاية التي أرادها الشاعر لمقطوعته:

«أنا " حلاج " الزمن..

لكن،،

ما في الجبة

إلّاك يا وطني! »²⁶

وبهذا الاستدراك التلفظي "لكن" لا يصبح التكافؤ الدلالي بين الشاعر والحلاج، لأنه إذا كانت جبة الحلاج تتسع لحلول اللاهوت في الناسوت، فإن جبة حلاج هذا الزمن (الشاعر)، لا تتسع إلا لوطنه.

إن العلاقة التي أقامها الشاعر بينه وبين وطنه وما تجسد فيها من انتماء وطني كبعد ثقافي، ما كان لها أن تكون بهذا العمق والتصوير، لو لم تتخذ من هذا الموقف الصوفي بعباراته وإشاراته مدارا للرؤيا وتشكيلا جديدا للرؤية. ويكون بذلك الموقف الصوفي فضاء تتجسد من خلاله الرؤية الثقافية.

4- الرؤية السياسية وتشكيل الرؤيا الشعرية

من الأبعاد الثقافية لتداخل الأجناس الأدبية في الشعر الجزائري المعاصر تبرز إشكالية الهوية الثقافية بمكوناتها المختلفة؛ الدين، والعادات، والتقاليد، والتاريخ، والواقع، والانفتاح على الغير، وما يتعلق كل ذلك من اختيارات سياسية ترسم المسارات وتحدد المرجعيات. والشعر في عمقه الفني تمثيل رمزي لأوجه الهوية الثقافية المختلفة. منها يستمد أبعاده الرؤية، وبالتفاعل المستمر مع عناصر الهوية المختلفة يحدث التجديد والتشكل المستمر للرؤى والقناعات، والمواقف والتصورات.

إن أهم العناصر النصية التي يمكن أن نتلمس من خلالها إشكالية الهوية في النص الشعري متداخل الأجناس تتمثل فيما يستدعيه الشاعر من رموز ثقافية وشخصيات تاريخية وتناسبات دينية وتاريخية وحضارية ووطنية وكل ما يشكل عنصرا من عناصر الهوية.

إن المتأمل في النص الشعري الجزائري متداخل الأجناس يجد أن استدعاء الشخصيات وإقامة حوارات معها يمثل ملمحا بارزا في معالجة موضوع الهوية كبعد ثقافي وسياسي، حيث يحدث الحفر التاريخي في الذاكرة، وتعاد خلخلة الأحداث التاريخية، خصوصا وأن الثقافة الجزائرية ضاربة في أعماق التاريخ، الذي مازالت ظلال أحداثه تسري في الوجود الثقافي الجزائري، إذ سرعان ما يستشهد الشاعر الجزائري بهذا الموقف التاريخي أو ذاك، أو يستدعي التاريخ لمسألة الواقع كلما سما بخياله بعيدا في عوالم الشعر، وخذ على سبيل المثال "إلياذة" الجزائر لمفدي زكريا.

من النماذج التي تحمل أبعادا ثقافية وسياسية متعددة نجد قصيدة الشاعر "يوسف وغليسي" ذات الأحد عشرة مقطعا، والمعنونة بـ " تجليات نبي سقط من الموت سهوا.."، وإن كان العنوان يحيل إلى تهويمات الصوفية، فإن النص يبتعد عن ذلك، ويعلن الهروب إلى الذاكرة، عساها تفسر واقعه المضطرب، وذلك بالخوض في أحداث التاريخ، واستحضار

الشخصيات، وتوظيف التناس، في حوارية بينه وبين من صادفهم على رصيف الذاكرة، في واقع سياسي يتسم بالتأزم، إذ القصيدة تصور عمق المأساة الوطنية التي عرفتها الجزائر مع نهاية القرن العشرين.

بعد توطئة يعلن فيها قيمة الانتماء للوطن، يفتح المقطع الأول بقوله:
«واقف.. أستعيد بقايا الجراح..

في خريف الهوى.. عند مفترق الذكريات..
كصفصافة صغرت خدّها للرياح!»²⁷

بعد أن يعلن الشاعر انتماءه الثقافي إلى شجرة " السّمُرات "، يعطي في المقطع الثاني ومفتتح المقطع الثالث إشارات دالة تسمح بتأويل العنوان، بحيث لا يُهمُّ صاحبه بادعاء النبوة. ثم يتخذ من تقنية القناع وسيلة لتمير رؤاه الثقافية وتصوراتها لأزمة الهوية التي تتخبط فيها العديد من الأوطان.
يعود الشاعر لمناقشة إشكالية الهوية الثقافية بالمجتمع الجزائري إلى عُقبة والفاحين، وكُسَيْلَة والكاهنة، وبين الانتصار لعقبة، أو الانتماء لكسيلة، هوّة ثقافية تتطلب الرّدْم.
«شوّهوا نسي..

سيجوا بالأراجيف ذاكرتي
أعدمو شجرة الانتماء!..

عقروا خيل عقبة والفاحين، ،
أحيوا رميم كسيلة والكاهنة!..

حين أفصحت عن رغبي في البكاء
نقشوا لي " تهوده " في البال أيقونة

ثم خروا لها ساجدين، وناموا على طيفها،
بعدما ناصبوني العداء»²⁸

ويكمل المشهد بتصوير ما آل إليه أمره نتيجة رؤاه السياسية ومواقفه الثقافية، خصوصا وقد اتهم بالخيانة العظمى، وهو مصير كل من يحمل آراء مخالفة في ظل الصراع السياسي والثقافي:
«صادروا مصحفي..

لفظوني على شرفة الحلم السندسي، وقالوا
أموي يحن إلى الزمن الهاشمي!»²⁹

ونتيجة كل ذلك يعود إلى الأقنعة، فيتخذ من شخصية "يونس عليه السلام" قناعا لينجو بنفسه إلى برّ الأمان.
يفتح في المقطع الخامس نقاش الهوية على نافذة جديدة، يمكن صياغتها في السؤال الآتي: هل الانتماء يكون لكسيلة أم لعقبة؟ أم الانتماء لكلهما في نفس الوقت هو الأصلح، ولكلّ مجال التأثير الثقافي المناسب له؟ وهل الدماء التي تسري في العروق الحالية صافية كل الصفاء حتى تحدد الانتماء؟ أم أن الدين يجب أن يعلو على العصبية القبلية، والنزعات العرقية.
«بربري أنا..

بربري، ولكنني كنت دوما أحن إلى زمن
الفتح.. أهوى صهيل الخيول..يراودني

طيف عقبة: كان يلوح لي بالمزامير
يغمرني بالمتى

هل أعدل في خارطة الأزمنة

أم أغني على نغمة " الأوف " و " الميجنه "؟!

أم سأنزع نحو العروق التي استوطنتني
غداة تناسخ أرواحنا؟!

أم أغبرلون دمي، كي يقال:
تنكر للكاھنة؟!

إنني "العبري" الشهيد الذي لم يمت
في ربيع الغضب...!
أنكرتني القبيلة حين تلونت بالأخضرار
كفرت بلون اللهب!..»³⁰

إن لون الأخضرار يمثل معادلا موضوعيا للإسلام وقيمه السمحة، دين عقبة والفاتحين. أما اللهب ذو اللون الأحمر، فيحيل إلى التوجهات الشيوعية، التي تسلفت إلى الهوية الجزائرية في غفلة من الزمن، حتى صار الانتماء للأخضرار ميثاقاً وريية. ولكن الشاعر على لسان قطاع عريض من مجتمعه، كانت له الجرأة بأن يعلن انتماءه للأخضرار، وكفره باللهب والاحمرار. يمثل النحت اللغوي الذي صاغه الشاعر على مستوى اللفظ "العبري" الرؤية الثقافية التي يبني عليها الشاعر حلّه لإشكالية الهوية الجزائرية في ثنائيتها المتعلقة بالعرب والبربر، ويحولها إلى هوية واحدة تنصهر فيها القيم العربية مع البربرية، صانعة كيانا جديداً.

يصور الشاعر في المقطع السادس من القصيدة متعددة المقاطع الواقع السياسي والثقافي لمجتمعه، ويرسم ملمحا بارزا فيه وهو "أزمة غياب الثقة"، وما ينجر عنها من تداعيات، ويستدعي لهذا الموقف قصة "مالك بن دينار" الواعظ الذي أبكى أصحابه، وعندما تفقد مصحفه لم يجده، فقال لهم: كلكم يبكي فمن سرق المصحف. وبالمقابل في تصور الشاعر الكل يبكي عن الجزائر وأحوالها في الفترة التي يصور الشاعر تفاصيلها، ولكن الكل يسرقها، والكل يقتلها.

«ويحكم! كلكم غارق في الدموع

فمن سيدل الخطيب على سارق المصحف؟!»³¹

إن إشكالية الهوية تقود لا محالة إلى غياب الثقة، فيصبح الكل متهم، والكل متهم. ولإثبات الإدانة والخروج من المأزق، يستدعي الشاعر قصة بقرة بني إسرائيل، وكيف ساهمت في كشف الحقيقة، ثم قصة العفو المحمدي عند فتح مكة ومقولته المشهورة " اذهبوا فأنتم الطلقاء". وهي إشارات عميقة لكل من يريد كشف الحقيقة أو الإصلاح وتجاوز الأزمات. في المقطع السابع يرسل الشاعر إشارات دالة على ارتباطه بوطنه (الجزائر) بكل مكوناتها: الأرض، والإنسان، والشجر، وكل ما يمكن أن يخطر بالبال وله علاقة بالوطن والهوية. ولكن رغم كل ما يمنحه الشاعر لوطنه من حب، لا يجد إلا الصدد والبعد، شأن "أراغون" مع "إلزا" في الأسطورة التي وظفها في مفتتح المقطع بقوله:

«كان لي وطن يوم كان "أراغون" يشدو

غناء فتلتصب الأغنيات عيوننا لـ"إلزا"»³²

ويختم المقطع بقوله:

«كان.. يا ما يكون / في بلاد المنى والمنون.. / طائر مثقل بالظنون..

هاتفا، أبدا، في جنون، / خذلتني زهورك، كم خذلتني، / أيا شجر الزيزفون !!!»³³

وبلاد المنى والمنون تدل على أن الصراع على أشده، والأمني مرتبطة بالمنايا، كما تتناسل الكلمتان من نفس الحروف، مما يجعل الشاعر يتحول إلى هذا الطائر المثقل بالظنون، فلا يوجد عنده شيء يطمئن إليه. إنها الهوية الثقافية عندما يتسع أمرها، فتغدوا الأوهام حقائق، والحقائق أوهام. ولكن مع كل هذه الحيرة، وهذا الصراع، يبقى جمال الوطن أسرا، مهما ضيّع الشاعر من طرف قومه، ومهما صادروا رؤيته وتوجهاته.

إن التوتر النصي الذي تميز به المقطع السابق حتم على الشاعر الانسحاب من معترك الحياة وإعلان غربته، ولذلك نجده يلجأ إلى " الغار " وحيدا، ويتبعد عن دياره وأهله ووطنه، ويحاول استعادة تجربة الشنفرى الواقعية، ولكن صاحبنا يجعلها نصية. ولئن وجد الشنفرى في عالم الوحوش ملاذا آمنا للعيش والنجوى، ولم يجد من واقعه السابق ما يحتم عليه

الرجوع، فإن الشاعر يوسف وغليسي أتعبه في غربته الهوى والحب، هوام الذي تتقاسمه كل عناصر الهوية التي تناولها في القصيدة، وحبه لجمال وطنه وأهله، فيترجى ممن ملك قلبه وعقله وكيانه، أن يتركه لشأنه، حتى يختار موته.

«ألجأ الآن وحدي إلى " الغار " / لا أهل.. لا صحب.. إلا الحمامة والعنكبوت / غربتي الديار التي لا أحب ديارا سواها/ ولكنني متعب.. متعب من هواها،/ فيا أيها الحب اسحب خلاليك من دمي

. التَّوَّ. اسحب.. ودعني أموت»³⁴

إن مفهوم المخالفة يقود إلى أن أصحاب المبادئ والمتمسكين بقيم الهوية لا يموتون، وما حب الأهل والأصحاب والديار، وما يجمعهم من محيطهم الثقافي إلا عناصر دالة على متعلقات الهوية التي تفرض التعلق بالحياة. ولكن الواقع بتناقضاته قد يفرض على المرء الهروب والغربة، كما حدث في النص.

في المقطع التاسع يُضيق الشاعر من عدسة الرؤية، ويخص بالتصوير المباشر مرحلة محددة من الوجود الجزائري هي التي فرضت في الحقيقة الموقف الشعري وولدت القصيدة، تميز فيها الوضع الجزائري بالصراع الدامي، وهو ناتج مباشر، وتَجَلَّ صارخ لصراع الهوية، إذ إن جوهر المشكلة الجزائرية في تداعياتها المختلفة «تجد تعبيرها القوي في أزمة الهوية»³⁵، مما يولد الحدة في المواقف، والوصول إلى التطاحن، فما كان من الشاعر. وهو صوت واع في المجتمع. إلا أن يصور هذا الواقع الأليم ويتلمس السبل الكفيلة لإصلاحه، عساها تحدث الاستفاقة.

«هائم في السنين،، / والدروب ملغمة بالفجائع/ الموت يزرع كل الدروب.. / وكل الدروب تؤدي إلى الموت.. / تغمرني رجة الموت في كل حين»³⁶

ويأتي المقطع العاشر ليعلن فيه الشاعر أن ضياعه، يقوده إلى البحث عن مكان يستجيره من هول المفاجعة، ويحدد القوى الفاعلة التي أوصلت الوضع إلى ما صار إليه، معلنا براءته من كل ما حدث، إذ إنه ليس في العير ولا في النفير، كما يقول المثل العربي الذي أورده في القصيدة.

«هائم أتنزى حنينا إلى خيمة / أستجير بها من هجير المكان... / الرمال ارتوت من ذرى مقلتي.. / وهذا النخيل نما في دمي،، / وتهاوى على راحتي.. / هائم تتقاذفني " جهتان " / لست في " العير " أو في " النفير " أيا سادتي / فلم تعلنان اللهيب علي؟!...»³⁷

إنه سؤال استنكاري يتنصل فيه الشاعر من الجهتين، ولكن أتى لسكان الوطن أن لا تصيبه شظايا الحرب إذا اندلعت، حتى ولو تنصل منها، خصوصا إذا لم يوجد من يقول اعصبوها برأسي قبل اشتعال الفتيل.

إن قضية الهوية كبعد ثقافي مرتبطة بكل تمفصلات الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والحضارية، وذلك ما تجسد في القصيدة على مستوى النص وتمثل في الوجود الجزائري خلال التسعينيات من القرن العشرين على مستوى الواقع. إذ بدأت مسألة الهوية كسؤال ونقاش، وانتهت إلى مواقف ووقائع وأحداث، تفاعل فيها السياسي بالثقافي والاجتماعي بالديني بالاقتصادي، فأنج واقعاً مريراً عبر عنه الشاعر الجزائري بطريقة مباشرة وأخرى غير مباشرة، ولكن عمق النص سياسي وثقافي أساسه صراع الهوية.

تكتمل رؤية الشاعر في المقطع الحادي عشر بالعودة من جديد للأقنعة، فهو "عيسى عليه السلام" المغيَّب، لأن واقع الشاعر نُغْتال فيه الحقائق ويطبعه الاقتتال والتناحر.

«يسألونك عني.. / قل إني ما قتلوني، وما صلبوني، ولكن / سقطت من الموت سهوا.. / رُفِعت إلى حضرة الخلد.. / إني تلاشيت سكران.. / إني تشظيت في وهج الوجد.. / غُيِّبت في أبد الأبد»³⁸

وهو "موسى عليه السلام" يناجي ربه، ولكن "موسى عليه السلام" ذهب لمناجاة ربه بعد أن اطمأن إلى استسلام بني إسرائيل لأمر الله في اعتقاده، أما الشاعر فقد اتخذ من المناجاة سبيلا للابتعاد عن قومه المتناحرين لعل الدعاء يجلب لهم القدر السعيد، بعد أن أعيته طرق الإصلاح الأخرى. وفي كل الخيارات التي اختارها الشاعر كإجابات جاهزة عن أسئلة مفترضة، وظف لها عبارة "يسألونك عني" ليشارك المتلقي في الحوار النصي. يبرز في القصيدة عنصر الأمل، وحب الحياة، وإمكانية

العودة، بعد أن تستقيم الأمور، ويعم الأمن، وتفتح عوالم الهوية على كل مكونات الهوية الوطنية فيكون التآخي بدل التناحر، والحب بدل الكره. وهي القيم الثقافية التي حملتها القصيدة، وناقشت ما تعلق بها من إشكاليات.

«يسألونك عني.. / قل إني تشبهت بالنخل؛ ما متُّ.. / ما ينبغي أن أموت! / أتسامي كما الروح، فوق الرياح، وفوق الزمان / وفوق المكان، وفوق الحكومة والبرلمان... / وسوف أحط من الملكوت... / سأعود غداة تزلزل تلك الممالك زلزالها / و"وجبال الزبربر" تخرج أثقالها! / ويعود الحمام إلى شرفات البيوت!». ³⁹

هي العودة المنتظرة للشاعر، حاملة معها بوارق الأمل، وهذه الهزات الاجتماعية لا بد أن ترسو بالبلاد إلى برّ الأمان، مهما ميّز عناصر الحراك الاجتماعي من صراع وتدافع (الحكومة، البرلمان، من هم في الجبال)، وكل ما يتعلق بهذه المؤشرات من امتداد ثقافي، ظاهره صراع سياسي، وعمقه ثقافي، يتعلق أساسا بصراع الهوية، لأن كل فريق ينطلق من عناصر معينة للهوية الوطنية، وكل فريق يريد إثبات وجوده وتحريك عجلة الحياة وفق منظوره الثقافي.

إن غنى قصيدة "تجليات نبي سقط من الموت سهوا.." بالمكونات البنائية للأجناس الأدبية المجاورة (السرد، الشخصيات، الحوار، الأحداث..) فتح أمام الشاعر فضاء نصيا سمح له بملامسة العديد من جوانب القضية التي شغلته، وفرضت عليه مغامرة الإبداع، مما ولّد في النص جماليات فنية، بما ظهر فيه من لغة شفافة، وإيقاع نغمي، وتصوير مشهدي، وبما حمل من أبعاد دلالية تعلق بالقضية التي عالجها، مما جعل للنص رؤية ثقافية أساسها صراع الهوية والانتماء في المنظومة الثقافية الجزائرية.

خاتمة البحث ونتائجه

ما يخلص إليه البحث في ثنائية الرؤية والرؤيا وتشكيلها للعوالم النصية للشعر الجزائري المعاصر متداخل الأجناس الأدبية يمكن بيانه في العناصر الآتية:

- الشعر الجزائري المعاصر القائم على الرؤية والرؤيا باعتبارها وجهة نظر للكون والإنسان والحياة، ينقل النص الشعري من دائرة العبثية إلى دائرة الانتماء والمقصدية.
- مثّلت المقصيدة الشعرية المتميزة بتداخل الأجناس الأدبية فضاء نصيا، تجسدت فيه الرؤية الثقافية والسياسية والاجتماعية، بما حملته من عناصر بنائية استقتها أساسا من الأجناس الأدبية المجاورة (المسرح، الفنون المنتمية للسرد كالرواية والقصة).
- الرؤيا الشعرية هي مجال التخيل وتشكل المقصدية، وبمقدار ما يتجسد في النص الشعري متداخل الأجناس الأدبية من رؤيا يكتسب قيمة شعرية وجماليات فنية.
- مدونة الشعر الجزائري المعاصر غنية بالنصوص التي تجمع بين الجانب الفني الجمالي والجانب المضموني الرسالي الهادف، وذلك ما يستوجب العناية بها تدوقا ودراسة.
- الخطاب الشعري الذي يجمع بين ثنائية الرؤيا والرؤية هو الخطاب الذي يجمع بين الجمالية الفنية والمقصدية المعرفية، وذلك ما يكس النص الشعري أبعادا تواصلية.
- هي إطلالة على الشعر الجزائري متداخل الأجناس الأدبية من خلال ثنائية الرؤية والرؤيا، تجعلنا أكثر يقينا بغناه الفني وعمقه التكويني ورؤاه المقصدية، وبالتالي يتطلب توجيه الجهود وتنويعها بالبحث أكثر في جمالياته وأبعاده ودلالاته، وأعتبر أن المدخل الرؤيوي من أهم المداخل لتحقيق ذلك

إحالات البحث

- ¹ - الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية المطلقة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص12.
- ² - المرجع نفسه، ص35.
- ³ - شادان جميل: فضاء الرؤيا ورمزية الحلم، ضمن كتاب فضاء الكون الشعري من التكوين إلى التدليل، إعداد وتقديم محمد صابر عبيد، دار نينوى للنشر والتوزيع، سوريا، دط، 2010م، ص19.
- ⁴ - القصيدة الشعرية متداخلة الأجناس: هي قصيدة شعرية يحضر فيها من مقومات السرد ما يشكل بناءها الفني: من حدث وحوار وشخصيات وفضاء وزمان ومكان، ولكن ذلك الحضور لا يفقدها انتماءها إلى الشعر إيقاعا وتعبيرا وتصويرا.
- ⁵ - فاضل ثامر: الصوت الآخر، الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط2، 1992م، ص17.
- ⁶ - شادان جميل: فضاء الرؤيا ورمزية الحلم، ضمن كتاب فضاء الكون الشعري من التكوين إلى التدليل، ص20.
- ⁷ - محمد الصالح خرفي: التحولات النصية والمتغيرات الشكلية في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد28، مجلد ب، ديسمبر 2007م، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص77.
- ⁸ - علي عشري زايد: دراسات نقدية في شعرنا الحديث، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، ط2، 2002م، ص62.
- ⁹ - عبد الحليم مخالفة: صحوة شهریار، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص97.
- ¹⁰ - عبد الحليم مخالفة: صحوة شهریار، ص44.
- ¹¹ - المرجع نفسه، ص59، 60.
- ¹² - مصطفى سوييف: الأسس النفسية للإبداع الفني، في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، ط4، دت، ص302.
- ¹³ - عبد الكريم قذيفة: مرايا الظل، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص44.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص45.
- ¹⁵ - عبد الكريم قذيفة: مرايا الظل، ص46.
- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص48.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص49.
- ¹⁸ - المرجع نفسه، ص51.
- ¹⁹ - عبد الكريم قذيفة: مرايا الظل، ص50.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص50.
- ²¹ - المرجع نفسه، ص52.
- ²² - ياسين بن عبيد: الشعر الصوفي الجزائري المعاصر، المفاهيم والإنجازات، عمر أبو حفص (1913-1990) أنموذجا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص62.
- ²³ - قال أبو علي بن البناء: كان العلاج قد ادعى أنه إله، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، مقدمة ديوان العلاج، ص19.
- ²⁴ - محمد باسل عيون السود: مقدمة ديوان العلاج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002م، ص12.
- ²⁵ - يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2003م، ص67.
- ²⁶ - يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص67.
- ²⁷ - يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص25.
- ²⁸ - يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص30.
- ²⁹ - المرجع نفسه، ص31.
- ³⁰ - المرجع نفسه، ص32، 33.
- ³¹ - يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص5.
- ³² - المرجع نفسه، ص35.
- ³³ - المرجع نفسه، ص38.
- ³⁴ - يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص38.

- ³⁵- ثنيو نور الدين: الدولة الجزائرية..المشروع العصي، ضمن كتاب الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي، منشورات مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م، ص190.
- ³⁶- يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص 39.
- ³⁷- يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص ص 39، 40.
- ³⁸- المرجع نفسه، ص 40.
- ³⁹- يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، ص 41.

مراجع البحث

- 1- عبد الكريم قديفة: مرايا الظل، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- 2- عبد الحليم مخالفة: صحوة شهرار، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.
- 3- يوسف وغليسي: تغريبة جعفر الطيار، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2003م.

المراجع:

- 4- ثنيو نور الدين: الدولة الجزائرية..المشروع العصي، ضمن كتاب الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، سلسلة كتب المستقبل العربي، منشورات مركز الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1999م.
- 5- الربيع ميمون: نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 6- شادان جميل: فضاء الرؤيا ورمزية الحلم، ضمن كتاب فضاء الكون الشعري من التكوين إلى التدليل، إعداد وتقديم محمد صابر عبيد، دار نينوى للنشر والتوزيع، سوريا، دط، 2010م.
- 7- علي عشري زايد: دراسات نقدية في شعرنا الحديث، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2002م.
- 8- فاضل ثامر: الصوت الآخر، الجوهر الحوارى للخطاب الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط2، 1992م.
- 9- مصطفى سوييف: الأسس النفسية للإبداع الفني، في الشعر خاصة، دار المعارف، مصر، ط4.
- 10- محمد باسل عيون السود: مقدمة ديوان الحلاج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2002م.
- 11- ياسين بن عبيد: الشعر الصوفي الجزائري المعاصر، المفاهيم والإنجازات، عمر أبو حفص (1913- 1990) أنموذجا، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

المجلات:

- 12- مجلة العلوم الإنسانية، العدد 28، مجلد ب، ديسمبر 2007م، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

